الأستاذ كمال طبال

جامعة الجزائر 2

قسم العلوم الاجتماعية

الفكر التربوي عند ابن خلدون

ملخص :

يعد البحث التربوي من الموضوعات المهمة التي شغلت بال واهتمام الدارسين قديما وحديثا،ونالت القسط الأوفر من دراستهم،إذ التربية ليست بعملية خلق معدومة عند الإنسان،ولكنها صقل وتطوير،وتهذيب لما هو موجود عنده من استعدادات وقدرات؛ فالنتائج الحضارية محصلة من مجتمع عرف ازدهارا وركودا،إقبالا وإحجاما، فشلا أو نجاحا، تعود إلى التربية والتعليم،وإلى القائمين عليها من حيث إدراكهم لمبادئها وقوانينها من ناحية،ومن حيث تطبيقهم لها علميا من ناحية أخرى.

Abstract :

The educational research of important topics that have occupied the attention of scholars, past and present, and won the bulk of their education, as education is not the process of creating a non-existent in humans, but they refine and develop, and refine what he has is from the preparations and capabilities; results are civilized outcome of a community known boom and recession , demand and reluctance, failure or success, back to education, and to those who made it in terms of their awareness of the principles and laws of the hand, and in terms of their application they have scientifically on the other hand.

مقدمة

وقد غدت اليوم قضية الإصلاح التربوي إحدى القضايا المطروحة على كافة الصعد، العالمية، والإقليمية،والمحلية، وهي ليست بالجديدة على ساحتنا العربية، فقد كان الإصلاح هاجسا ملحا لدى النخب السياسية والثقافية منذ مطلع النهضة في القرن التاسع عشر، وإن تعددت منظوراته وتباينت الوسائل المطروحة لتحقيقه. غير أن ما شهده العالم في الحقبة الأخيرة فيما صار يعرف ب"العولمة" وما كشفت عنه الأحداث في المجال العربي،جعل خطاب الإصلاح يبرز من جديد،متفاعلا مع معطيات العصر ومتغيراته، مشتملا على إشكالات كثيرة، منها الحكم الصالح والديمقراطية والشفافية وحقوق الإنسان والتربية.

أولا– الطرائق التربوية عند ابن خلدون

لاريب أن ابن خلدون يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي والإسلامي،وحتى في الفكر الغربي المعاصر،وينظر إليه على أنه صاحب مشروع ورؤية حضارية خاصة،ولاسيما فيما يتعلق بدراسة التاريخ البشري، والمجتمع الإنساني، والعمران الحضاري، أضف

إلى ذلك عبقريته في الفكر الاقتصادي والتربوي والسياسي وغيرها من الحقول المعرفية،ويشار إليه صاحب منهجية في النظر والتفكير والبحث والتفسير،مثلث في زمانه قفزة لإبداعية متميزة ووصفت بعض إنجازاته على الأقل بأنها غير مسبوقة، باعتباره مؤسسها، وأنها لم تكن معروفة قبله،فهو لم يكن غريبا عن مختلف ميادين المعرفة العلمية،بل كان ذا ثقافة موسوعية،لديه إحاطة بالعديد من العلوم،وإلماما واسعا بالعلوم الأخرى،فعلى الرغم من تخصصه بدراسة الظواهر الاجتماعية، وتوصله إلى أنها محكومة بالقوانين والسنن نفسها التي تحكم سلوك الظواهر الطبيعية، وإقامته لعلاقة قوية بين البيئة الطبيعية(الجغرافية)، والسلوك البشري والاجتماعي والنفسي،وكذا دراسته للعلوم الإسلامية النقلية–حيث تشهد إسهاماته بتبحره في علوم القرآن والسنة والفقه،حتى عد مؤهلا لتولي منصب قاضي قضاة المالكية بمصر،وشهرته عند عامة الناس بأنه صاحب الفضل في إرساء قواعد فلسفة التاريخ وصار يذكر في الكتب الحديثة بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني،وهذا اعتراف بجزء مما أبدعه الرجل:"فابن خلدون": "يجهل قدره كثير من الناس،بل إنهم يعرفونه على أنه عالم اجتماع ليس إلا.ولكن هناك من اللسانيين من يجد في المقدمة مخزونا من الاستطرادات الثرية التي تدل على جملة من الأفكار اللسانية التربوية التي لاتقل أهمية عما توصل إليه البحث اللساني واللساني التطبيقي عند الغربيين " [1] لم يغفل الرجل عن تقديم شتى الأفكار التربوية لرجال التربية والتعليم في عصره، وهي جديرة بالأخذ في عصرنا؛لأنها لاتقل أهمية عما يذهب إليه علم اللسان التربوي الحديث.وهذا بعد نقده اللاذع للطرائق التعليمية التي كانت سائدة في عصره، وكيفية تأدية المعلمين لها:"وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا،يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها[2]

وقد تناول في مقدمته عديد من العلوم التي صنفها تصنيفات كثيرة،وكان لعلوم اللسان النصيب الأوفر والجزء الأهم، حيث بنى اللسان العربي على أربعة أركان ورتبها مراتب متفاوتة ومختلفة،بحسب المقاصد التي يقصدها المتكلم: "...وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة [3]جاعلا النحو أولها،فهو الذي له حق التقدم على هذه العلوم المذكورة، إذ هو الموصل إلى صواب النطق،المقيم لزيغ اللسان،المؤدي إلى محمود الإفصاح،يستعان به في فهم سائر العلوم،وكان لذلك في نفسه أغراض:" والذي يتحصل أن المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول،والمبتدأ من الخبر،ولولاه لجهل أصل الإفادة ، كما حرص المصلح الاجتماعي والتربوي على تحديد منهج خاص بالتربية،ذلك المنهج الذي لا تختلف أسسه ومبادئه عما يدعو إليه علم اللسان التربوي الحديث،بل يتميز عن المناهج الجديدة ببساطته وتدرجه في المعرفة واستناده إلى الحفظ والذكر،وتمسكه ببساطة المعلم، وبنظام صارم للثواب والعقاب.

وتظهر معالم منهجه التربوي في الطريقة الناجعة التي رسمها في تعليم الناشئة،وفي تحديده للآداب والشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم،فقد أكد صراحة أن عملية التعلم والتعليم طبيعية في العمران البشري، فالإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر الذي يهتدي به، فهو تواق إلى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فينشأ عن ذلك موقف تعلمي. وتقوم عملية التعلم عادة على ثلاثة أعمدة، وهي المعلم والمتعلم والطريقة. وتتحقق الأهداف التربوية والتعليمية بمقدار ما يتوفر لهذا الموقف التعليمي من شروط . ذلك أن التعلم عموما هو"اكتساب العلوم واجتلابها إلى القلب [4] .قال ابن خلدون:"اعلم أن العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها التصور للحقائق أولا،ثم بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانيا [5]ومن الصعب الفصل في أي علم بين المنهج والموضوع، فبدون منهج تصبح كل دراسة علمية لأي موضوع [6] أو ظاهرة مستحيلة، فلا يمكن تطبيق أي منهج، دون توفر موضوع.

وفي ضوء هذا أورد ابن خلدون في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطا،دينية، ودنيوية،ينبغي على المعلم والمتعلم التحلي بها،حتى تكون عملية التعليم ناجحة، ومثمرة،فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلا على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية،وتنحصر هذه الشروط في هذه المبادئ:

ثانيا :– شروط المعلم(المربي)

1الإحاطة : بمبادئ التعليم وعدم الشدة على المتعلمين: يعد المعلم العنصر الأساس في العملية التربوية،فهو المتصرف في قلوب البشر،وهو أيضا بمثابة الطبيب المعالج للنفس من مرضها وجهلها بالعلوم، بل إن مهمته أخطر فيما يرى "الغزالي أبو حامد" من مهمة الطبيب؛لأن الأول متصرف في العقول والقلوب في حين أن الثاني متصرف في الأبدان، وشتان مابين النفس والبدن، فمهمته إذن شريفة،إلى الحد الذي تجعله وريثا للأنبياء، ومن تصدر لهذه المهمة فقد تقلد أمرا عظيما يفرض عليه آداب وشروطا،كأن يكون المربي قادرا على التعليم،وذا كفاءة، غير مستبد، ولا يكون قاسيا غليظا مع المتعلم؛ لكي لا يجره إلى الكذب:"وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة[7] وأن يكون ذا ثقافة عامة تمكنه من إفادة المتعلمين إفادة متنوعة،توسع في الوقت نفسه من أفقه المعرفي وتحفظه من بلبلة أفكارهم بالمعلومات الخاطئة أو المعارضة أو من مغبة التعصب الأعمى ضد العلوم التي لم يعرفها عن قرب أو بعد،فالناس أعداء لما يجهلون كما يقال، وأن يلم بطرائق التعليم ومبادئه ومهاراته،متوقفا عند مسائله،مستنبطا فروعه من أصوله، حتى يكون التعليم مزدهرا ومحققا لأهدافه: "إن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير[8] باعتبار التعلم صناعة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى كما ورد على لسان ابن خلدون،فنجاحها وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها،والمعلمون هم سند هذه الصناعة، وهذا المبدأ يمثل اليوم إحدى الاهتمامات الرئيسة للمشرفين على قطاع التربية والتعليم،حيث سنت الوزارة برامج تخص تكوين المكونين،وأحدثت المراكز والهيئات لاستقبال رجال التربية والتعليم؛ وهذا كله بهدف توسيع وتجديد معلومات المربين،وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية.

2الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الانتقاء:

دعا ابن خلدون المربين إلى عدم الاستكتارمن العلوم الآلية التي لا ينبغي أن توسع فيها الأنظار ولاتوسع فيها المسائل، منها على سبيل المثال لا الحصر علم النحو،وبرر ذلك بأن التعمق والاستكثار من مسائله المقفلة سيخرجها عن المقصود، ويصير الاشتغال بها لغوا،خاصة ونحن نعلم أن النحو العربي أنحاء ومدارس مختلفة،وأن الهدف الأسمى منه هو معرفة صواب الكلام من أخطائه،وإصلاح الألسنة من اللحن أو اللكنة كما قال الشاعر :

النحو يصلح من لسان الألكن * والمرء تكرمه إذا لم يلحن وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها نفعا مقيم الألسن، وهو في هذا المذهب ينحو نحو الجاحظ "ت 255هـ"الذي دعا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات،والتمييز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، تضمن ذلك قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه(قلب الصبي) منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه،وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به [9] ، وعليه فإن الاشتغال والإكثار من المسائل، يصير في رأيه من باب اللغو،جاء ذلك في قوله:"... وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو... لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالا،وأكثروا من التفاريع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها.وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لاحاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو،وهي مضرة

أيضا بالمتعلمين على الإطلاق[10] كما نبه ابن خلدون أيضا إلى أن الاختصار المخل سيحدث لا محالة ضررا في إيصال المعاني،والإكثار منها في العلوم يخل بالتعليم: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم ، والرأي عندي أن هذه الأفكار التربوية التي أقرها ابن خلدون في القرن الثامن الهجري قد أكدتها اللسانيات التربوية الحديثة.

3المتابعة والاستمرار في تلقين العلم وعدم الخلط بين الفنون:

ألح ابن خلدون على عدم الانتقال من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهم المتعلم للمسألة الأولى، ولذا يجب عليه الاستمرار في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها، ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها، وحذر من انقطاع المجالس والتفريق فيما بينها؛لأن ذلك يؤدي إلى النسيان أولا،ويؤول إلى عدم تعلق المسائل بعضها ببعض ثانيا، جاء ذلك في قوله: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض [11]كما نبه إلى عدم الخلط بين المسائل،في قوله: "... ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا،فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما،لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما [12] .وهو بهذا يؤكد على الجانب المنهجي في طريقة التلقين، بعدم الخلط بين علمين؛لأن ذلك من شأنه يؤدي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم،حيث يصرف باله،ويضعف ملكته في النفس أو يؤخرها على الأقل؛ لانصراف الذهن ،مما ينبغي الاهتمام بمسائل العلم المولدة للملكة العلمية . وعدم الخلط بينها.

4مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

ينبه ابن خلدون من خلال آرائه التربوية إلى الإقرار بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فالعوامل النفسية والجسمية والبيئية تؤدي دورا أساسيا في تحديد حجم التعلم،بحيث يتفاوت ذلك الحجم بين فرد وآخر،فالأفراد يختلفون في درجة الذكاء وفي قدرة الاستيعاب: "... وهوكما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه.ومراعاة هذا المبدأ أكده العلم اللساني الحديث؛ ذلك أن الأنام لا يتكلمون على منوال واحد، بل تجدهم،حتى في حالة انتمائهم إلى المحيط الاجتماعي نفسه،يختلفون في سرعة السرد،ويتفاوتون في رصيدهم من المفردات [13] ويتمايزون من حيث الصوت، ومن جملة تلك الفروق ، ما يلاحظ لدى الناس من أن لكل واحد منهم أسلوبا ينفرد به في الإنشاء الأدبي،وفي سرعة تحصيل العلم والمعرفة.ومن هنا طولب القائمون على عملية التعلم ابتداء من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين .

يرى ابن خلدون أن الطريقة الناجعة في تلقين العلوم إنما يكون:" مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم.[14] فيجب على المعلم أن يذكر للمتعلم إلا ما يستطيع تحمله،مراعيا قدراته واستعداداته على تلقي تلك المادة العلمية، وأن يبتعد عن التعقيد ويتقيد بالتدرج في عرض أية مسألة علمية، باعتبار التدرج أحد المبادئ المساهمة في نجاح العملية التعليمية، ويكون ذلك ببدء المعلم بالشيء الواضح من العلم قبل الغامض، وبالبسيط قبل المعقد،وبالجزء قبل الكل، وبالعملي قبل النظري،وبالمحسوس قبل المجرد،فلا يبدأ بالعويص من المسائل فيغرق في أمور لا يحتملها، فيؤدي به إلى الفشل، كما ينبغي على المعلم الاستيفاء بالشرح والبيان،ولا يترك عويصا ولامبهما ولا مغلقا إلا وضحه،وهذا في رأي " العلامة ابن خلدون" وجه التعليم المفيد والصحيح، ولن يكون مثمرا إلا من خلال

التكرار:"...وهوكما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك.[15] فالتكرار إذن مبدأ ضروري لتكوين الملكة؛ لكونه عاملا أساسيا لتحقيق عملية التعلم ،ذلك أن الملكة لاتحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواصه تركيبه،فهذا التحديد للملكة اللسانية من قبل ابن خلدون نراه صالحا لأن يكون المقابل العربي لمفهوم الكفاية عند نوام تشو مسكي، وكثرة التكرار تؤدي إلى الحفظ الذي يزيد صاحب الملكة رسوخا وقوة، ولا يحصل ذلك إلا بعد فهم كلام العرب. ولعل هذا ما تقره اللسانيات التربوية الحديثة،حيث يعمل المربون حديثا بهذه المبادئ–التدرج ،والتكرار والحث على الممارسة– في تلقين العلوم.

ثالثا : شروط المتعلم:

1**الإصغاء(السمع)** إن المتعلم مطالب في بداية تعليمه بالإصغاْ لمعلمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه قبل أن يتطرق للاختلافات من المذاهب، ذلك أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر "ابن خلدون"،فالشيء الذي يعين المتعلم على فتق لسانه بالمحاورة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه،و هذا ما طرقه" ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع،حيث يقول:"فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها...ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم،واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، فالتعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده "لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب أساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه.

وقد أكد علم اللسان التربوي الحديث على ضرورة الاهتمام بملكة السمع باعتبارها الحاسة الأولى المساهمة في عملية التعلم،وهو من المبادئ اللسانية التربوية التي أقرها،ويسمى عند جمهور اللسانيين التطبيقيين"الحمام اللغوي أو الانغماس اللغوي bain linguistique [16] ، وهي تأتي في المرتبة الأولى؛ذلك أن الإنسان يسمع قبل أن يتكلم.

وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون:"... بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك [17]والظاهر لنا جليا أن الرجل قد أعطى السمع الأولوية في امتلاك ناصية العلم،معتبرا إياه أبا لجميع الملكات؛ذلك:"إن الطبيعة وهبت الإنسان لسانا واحدا،ولكنها وهبته أذنين... والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلم ،ونجد "ل.بلومفيلد" يشارك ابن خلدون في إعطاء ملكة السمع درجة من الأهمية، حيث استغل المنهجية السمعية الشفهية في تحليله التوزيعي للغة وفق المحورين الصرفي والتركيبي، إذ من خصائص هذه المنهجية([18]

2الاستعداد:

على المتعلم الاستعداد للتعلم والتفرغ للعلم،والابتعاد عن إغراءات الدنيا وشهواتها: "فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة علاقة عاطفية بين المعلم والمتعلم، والتدرج بالمتعلم مع تشويقه للمادة المراد تلقينها، وهذا بعد دراسة نفسيته واستعداداته العقلية:" واعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في تعلمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ....ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه ودعا ابن خلدون المتعلم إلى ضرورة التحلي بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أقفلت وأعوز عليه فهم المسائل ، فالعلم من عند الله ...

ويعد قانون الاستعداد من المبادئ التي اعتمدها العالم "ثورندايك"في نظريته التعليمية،والهدف من ورائه هو توضيح معنى الارتياح والانزعاج،ورأى أنه مفيد بالنسبة للتعلم الإنساني بصورة خاصة.

4مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم:

إن ترسيخ ملكة العلم يكون بملازمة رجال العلم،ذلك أن طرائق شيوخ العلم متعددة،فلكل طريقته الخاصة في تلقين العلوم،وعلى المتعلم الذي يريد الاستزادة من العلم وتقوية ملكته ملازمة الشيوخ،والرحلة إن اقتضى الأمر للقاء بشيوخ العلم:"فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم...فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته "[19])وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم صراحة في معنى قوله ، أنه من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رهنا لطالب العلم.

الخاتمة

وصفوة القول إن العلامة"ابن خلدون "يعد بحق موسوعة علمية،تناولت شتى حقول المعرفة العلمية،فأفكاره التربوية لاتقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة،بل يمكننا القول أن له فضل السبق إلى كثير منها ،وبخاصة ما تعلق بطريقة التدريس،والتي نبه فيها المعلم إلى ضرورة توخي التدرج والتكرار في عرض المادة العلمية،والتحلي بمبدأ التشويق ،مع مراعاة استعدادات المتعلمين،والأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تلقين العلوم،أضف إلى ذلك تمييزه الصريح بين اللغة كملكة، واللغة كصناعة؛أي بين نوعين من المعلومات المعلومات الخاصة بالملكة والمعلومات الخاصة بالصناعة-،"فالنوع الأخير هو اللغة كنظم وعلم مجرد وقوانين .ويمثل هذا النوع جانب البحث .أما النوع الثاني فهو اللغة كإنجاز أو تحقيق فعلي في صورة كلام أو كتابة ويمثل هذا النوع جانب الاستعمال، ومن ثم يمكننا وصفه بالباحث اللساني السابق لعصره،فقد تنبه إلى عديد من الأفكار اللسانية التربوية التي يدعو إليها علم اللسان التربوي الحديث،وبخاصة ما تعلق بالشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم،كما أسلفنا سردها في متن الورقة.

السمع عنده "أبو الملكات"؛إذ الملكة اللسانية عنده تعني المعرفة التي يكتسبها متكلم اللغة السليقي عن لغته كلاما وفهما،ولاتحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه،فالإنسان يسمع قبل أن يتكلم وهذا ما تدعو إليه مختلف الطرائق المنتهجة حديثا في تعليم العلوم.

لم يكن فضل المقدمة"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"على العلوم فحسب،بل كان فضلها عظيما على الآداب،فكما أفادت العلوم بموضوعاتها،ومادتها؛لأنها أسست علما جديدا هو علم الاجتماع،فقد أفادت الآداب بشكلها وصياغتها وأحيث أسلوبا عربيا قديما،فقد تحدث عن الموشح، والأزجال، والبلاغة،وانقسام الكلام إلى فني النظم والنثر،وفي صناعة الشعر ووجه تعليمه ...الخ.

إن الرجل غلبت عليه سمة المصلح الاجتماعي الذي يضحي بقوته كلها وإمكاناته في سبيل تقدم الفرد والمجتمع على السواء؛لذلك كان في أقواله وأعماله مرآتا تعكس أو ضاع المجتمع وحاجياته.،فهو يقوم أولا بتشخيص أمراض مجتمعه وعلله وأسقامه،ثم يشرع في الدعوة إلى الإصلاح ،بتقديم شتى الأساليب والحلول التي تستند إلى رجاحة العقل والتفكير،ولعل هذا إن دل على شيء، إنما يدل على أصالة فكره وقدرته الإبداعية في صياغة فكر إنساني أصيل ،أسهم مساهمة فعالة في المعرفة الإنسانية .

المراجع :

-1 المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار التونسية للكتاب، ،تونس،1986، ص ص 208 237.

2- ابن خلدون، المقدمة، ج 1، دار الجيل، بيروت، ص 589.

3- المصدر نفسه، ص 442.

4- المصدر نفسه، ص 442.

5- عبد الأمير شمس، الفكر التربوي عند ابن خلدون و، دار اقرأ، بيروت 1984، ص 79.

6- أبوحامد الغزالي،الإحياء طبعة عيسى البابي الحلبي، ج 3، القاهرة، 1957 ص21.

7- المقدمة، ص 428.

8 -حمانة البخاري، التعلم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 155.

9- المقدمة، ص 597.

10- المصدر نفسه، ص 428.

11 - عن السيد أحمد الهاشمي،القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج"الألفية"لابن مالك وخلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل الأشموني، دار الكتب العامة، بيروت، ص 4.

12 - الجاحظ، رسائله، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،، مصر1979، ص 38.

13 - المقدمة، ص 700.

14 -المصدر نفسه، ص 588.

15- المصدر نفسه، ص 589 .

16 -ترجم عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح " Bain linguistique"ب"الانغماس اللغوي" ،قسم اللغة العربية ، دحلب، ، 2002، ص 38.

17- محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، الرسالة للطباعة والنشر، 1998، ص 280.

18 - المقدمة، ص 589.

19- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص 225